

ماذا بعد قمة كامب ديفيد الأمريكية - الخليجية:

تأملات في مستقبل المنطقة ونظامها الإقليمي الجديد

أمجد أحمد جبريل

انعقد في 14 مايو 2015 لقاء قمة جمع الرئيس الأمريكي باراك أوباما مع مسئولين من دول الخليج الست في منتجع كامب ديفيد.

وقد جاءت هذه القمة في سياق إقليمي مضطرب، يمكن تلخيص ملامحه في أربعة متغيرات؛ أولها حرب اليمن التي بدأتها قوات من 10 دول بقيادة المملكة العربية السعودية أواخر مارس 2015، واستمرت حتى أوائل يونيو دون أن يظهر بعد أي أفق لنهاية هذه الحرب.

وثانيها التوصل لاتفاق إطار غربي- إيراني حول البرنامج النووي الإيراني في لوزان 2 أبريل 2015، مع بروز مخاوف خليجية جدية من أن يزيد ذلك من هجوم إيران على توازنات الخليج والمشرق العربيين، لا سيما إذا تم الإفراج عن الأرصدة الإيرانية المجمدة في الغرب منذ الثورة الإسلامية عام 1979.

وثالثها تعقد أزمات العراق وسورية وليبيا التي بدأ تنظيم داعش يفرض إيقاعه على تطورها، مع نجاحه في السيطرة على عدد من المدن المهمة في هذه الدول الثلاث (الرمادي العراقية، وتدمر السورية، وسرت الليبية)، رغم خسارته لبعض مواقعه (مدينة تكريت العراقية مثالا).

ورابعها بروز مؤشرات خطيرة تدل على بدء انعكاس اضطرابات اليمن والإقليم على الداخل السعودي، سواء عبر استهداف الحوثيين لمناطق حدودية مع السعودية (في محافظتي جازان ونجران، التي كان أخطرها محاولة قوات تابعة للرئيس اليمني

المخلوع المتحالفة مع الحوثيين اقتحام الحدود السعودية فجر 5 يونيو 2015)، أو عبر تبني تنظيم داعش تفجير القديح في القطيف بالمنطقة الشرقية في 22 مايو 2015، ثم الهجوم على مسجد العنود في الدمام 29 مايو 2015، مما جعل البعض يتساءل إذا كان تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) قرر أن ينقل معركته إلى داخل الأراضي السعودية نفسها، عبر استهداف المساجد والمواطنين السعوديين، لا سيما الشيعة منهم.

وبغية إلقاء الضوء على هذا الموضوع سيتناول هذا التقرير جزأين، أحدهما تحضيرات قمة كامب ديفيد والخلافات التي سبقتها، والآخر نتائج القمة، ولاسيما في تداعياتها على التحالفات الخارجية لدول الخليج وأوضاع المنطقة والقضايا العربية.

أولاً- ما قبل قمة كامب ديفيد: التحضيرات والتوقعات

لقد وصف كثيرون القمة الأمريكية- الخليجية قبل انعقادها بأنها "قمة التطمينات"، أي أن الرئيس الأمريكي أرادها لطمأنة حلفائه الخليجيين، وجذبهم لتأييد رؤيته قبل التوصل لاتفاق نهائي مع إيران حول برنامجها النووي نهاية يونيو 2015.

والملاحظ أن عددا من التحليلات الأمريكية قد طالب بهذا التطمين، وأن تسعى إدارة أوباما لاستعادة مصداقيتها لدى حلفائها الخليجيين، وذلك عبر مكافحة مساعي إيران لتوسيع نفوذها الإقليمي. وهنا اقترح البعض أن تقوم واشنطن بخمسة أمور؛ أولها تكثيف الدعم للمعارضة في سورية. وثانيها منع شحنات الأسلحة الإيرانية إلى حلفاء إيران وعملائها في المنطقة. وثالثها تعزيز الدعم الأمريكي للشركاء المنخرطين في نزاعات مع حلفاء إيران. ورابعها إلحاق التدريبات الدفاعية الروتينية بتمارين تركز على ضربات العمليات الهجومية طويلة المدى في منطقة الخليج. وخامسها إيلاء

الأهمية للخطوط الحمراء، فيما يتعلق بالبرنامج النووي الإيراني، لكي يتضح لطهران الثمن الذي ستدفعه إذا حاولت تجاوز "العتبة النووية"¹.

كما اهتم كاتب أمريكي آخر بإبراز أن مشاركة الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند في قمة مجلس التعاون الخليجي التشاورية - التي عقدت في الرياض 2015/5/5 - إنما تأتي مكافأة لباريس على موقفها المتشدد تجاه المفاوضات النووية مع إيران ودور فرنسا كمورد للأسلحة لدول الخليج، خصوصا مع إصدار عاهل السعودية والرئيس الفرنسي بيانا مشتركا بعد هذه القمة الخليجية التشاورية أكدوا فيه على "ضرورة التوصل إلى اتفاق قوي ودائم ولا جدال فيه وملزم مع إيران، بحيث يضمن عدم زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة، أو تهديد أمن الدول المجاورة لإيران"².

وفي مقال آخر تحدثت كاتبة أمريكية عن مصطلح "إدارة الانقطاع بين الولايات المتحدة ودول الخليج في كامب ديفيد"، لكنها وصفت العلاقات بين الطرفين بأنها استراتيجية، وأنها أقوى وأكثر أهمية من أي خلاف ذي علاقة بسياسات محددة³.

1 - مايكل آيزنشتات، "طمأنة الحلفاء الخليجيين القلقين في كامب ديفيد: البعد العسكري"، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى 2015/5/7. (زيارة يوم 2015/5/13). على الرابط:

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/assuring-uneasy-gulf-allies-at-camp-david-the-military-dimension>

2 - سايمون هندرسون، "التودد إلى دول مجلس التعاون الخليجي: من الرياض إلى باريس إلى كامب ديفيد"، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى 2015/5/7. (زيارة يوم 2015/5/13). على الرابط:

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/wooing-the-gulf-states-from-riyadh-to-paris-to-camp-david>

3 - لوري بلوتكين بوغارت، "إدارة الانقطاع بين الولايات المتحدة ودول الخليج في كامب ديفيد"، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى 2015/5/12. (زيارة يوم 2015/5/13). على الرابط:

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/managing-the-u.s.-gulf-disconnect-at-camp-david>

ودعت الكاتبة واشنطن إلى الاستفادة من اجتماعات كامب ديفيد لدفع "التحالف الاستراتيجي" قدما عبر اتخاذ أربع خطوات رئيسة بالإضافة إلى ترتيبات عسكرية جديدة؛ أولها أن يعطي الرئيس أوباما مصداقية كاملة في اللغة واللهجة إلى وجهات النظر القائمة في الخليج حول وجود تهديد مباشر من إيران. وثانيها أن يكون أوباما منفتحا حول كيفية توسيع التعاون ضد التهديدات غير التقليدية مثل الهجمات الإلكترونية، وهذا من شأنه أن يسلط الضوء على فهمه الدقيق للتهديد الإيراني، وعلى سبيل المثال، قد يناقش أوباما الهجمات الإلكترونية على شركة أرامكو السعودية عام 2012 التي ربما سُنت بمساعدة إيرانية. وثالثها أن يتعرف المسؤولون الأمريكيون على ولي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، الذي يشغل أيضا منصب وزير الدفاع. وهو وجه الحملة العسكرية السعودية ضد الحوثيين في اليمن، لذلك سيكون من الحكمة بالنسبة للرئيس أوباما التحقق من خطته الأخرى المتعلقة بالسياسة السعودية الإقليمية. وتشمل المجالات الهامة التي يجب أن تسترعي الانتباه وتعمق التعاون: سورية، والحملة ضد تنظيم داعش، ومواجهة التطرف. ورابعها أن يسعى الرئيس أوباما لتحديد مكان وتوقيت الاتصالات في المستقبل مع الحلفاء الخليجيين؛ إذ إن بناء العلاقات أمر ضروري لطمأنتهم، كما يجب على واشنطن استخدام أي إحباطات تتعلق بقمة كامب ديفيد، لكي تكون قوة دافعة نحو تخطيط فرص إضافية لرسم سبيل للتقدم معا⁴.

ويمكن لنا بعد التدقيق في جميع هذه المقترحات التي طرحت قبل قمة كامب ديفيد بهدف تعزيز العلاقات الأمريكية - الخليجية أن نتبين أنها لم تجد أذنا رسمية صاغية، ربما باستثناء التركيز على الاتفاق على لقاء أمريكي - خليجي آخر بعد عام

4 - المصدر نفسه.

أي في 2016، والتجاوب النسبي مع طلبات الخليج في زيادة التسليح والتدريب بما يحقق مصلحة الطرفين، وهذا ما يعني أن المستفيد الأكبر من هذه القمة هو الطرف الأمريكي الذي حصل على كل ما يريد من مصالح، ولم يلتزم بشئ محدد تجاه مطالب حلفائه الخليجين، لا سيما فيما يتعلق بالتعامل الحازم مع التدخلات الإيرانية الصارخة في شئون المنطقة عبر الميليشيات المتحالفة مع طهران.

أما إذا نظرنا إلى قمة كامب ديفيد من الجانب السعودي، فيمكن القول إنها جاءت بعد أربعة أشهر حافلة بالتطورات المؤثرة على المملكة العربية السعودية سواء على الصعيد الداخلي أم الإقليمي؛ فالرياض باتت مقرا لنشاط دبلوماسي موسع منذ تولي الملك سلمان بن عبد العزيز مقاليد السلطة أواخر يناير 2015، وبالذات بعد بدء حرب اليمن أواخر مارس 2015.

بيد أن أهم هذه الخطوات الدبلوماسية السعودية التحضيرية لقمة كامب ديفيد، قد تكون تلك المتمثلة في استضافة الرياض قمة مجلس التعاون الخليجي التشاورية، التي دعي لحضورها الرئيس الفرنسي هولاند⁵، كما أشير آنفا. فضلا عن قيام وزير

⁵ - لمزيد من التفاصيل حول العلاقات السعودية- الفرنسية راجع المصادر الآتية:

-منصور المرزوقي البقمي، "العلاقات السعودية-الفرنسية في شرق أوسط متغير"، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات 2013/8/1. (زيارة يوم 2015/6/2) على الرابط:

<http://studies.aljazeera.net/reports/2013/07/20137318323717777.htm>

-رندة تقي الدين، "السعودية وفرنسا تتناقشان 20 مشروعا اقتصاديا ببلايين الدولارات"، الحياة 2015/5/6. على الرابط:

<http://alhayat.com/Edition/Print/9017191>

-عبدالعزیز العويشق، "الرياض تحتضن أول قمة خليجية-فرنسية"، الوطن (السعودية) 2015/5/7. على الرابط:

الدفاع السعودي الأمير محمد بن سلمان بعقد محادثات مع أمير الكويت في 6 مايو 2015، ثم زيارة وزير الخارجية الأمريكي جون كيري السعودية حيث أجرى محادثات هناك في 7 مايو 2015، ثم التقى نظراءه الخليجيين في باريس في 8 مايو.

ورغم كل هذا الجهد الدبلوماسي فقد بدا واضحا أن ثمة خلافات سعودية- أمريكية مكتومة لا يمكن إلا أن تظهر بالتدريج، ولا سيما في موضوعي تقييم الخطر الإيراني على دول الخليج والعراق واليمن وسورية، وفي طبيعة النظرة الأمريكية للاختراقات الإيرانية للمنطقة العربية، وهي اختراقات مرشحة للزيادة إذا رفعت العقوبات عن إيران بعد الاتفاق النووي النهائي معها، والمتوقع آخر يونيو 2015، كما أشير آنفا.

وهذا كله جعل سقف التوقعات من قمة كامب ديفيد الأمريكية- الخليجية منخفضا، وأسهم دون شك في اتخاذ العاهل السعودي قرارا بعدم حضورها، ورغم التبرير الدبلوماسي لذلك بانشغال الملك سلمان بن عبد العزيز بمتابعة الملف اليمني وتفاصيل الهدنة الإنسانية التي كانت ستبدأ في 5/12، فإن الأمر يمكن أن يُقرأ أيضا بوصفه رسالة عتاب سعودية للحليف الأمريكي، وهو نوع من السلوك المعتاد

<http://alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleID=26183>

-عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب، "أمريكا بعد القمة الخليجية الفرنسية"، العربي الجديد 2015/5/9. على الرابط:

<http://www.alaraby.co.uk/opinion/2015/5/8/%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9>

-باسكال بونيفاس، "الخليج وفرنسا.. كسر الاحتكار الاستراتيجي"، الاتحاد (أبوظبي) 2015/5/12. على الرابط:

<http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=84652>

في علاقة الحليين كلما ركزت واشنطن على مصالحها وأهملت مناقشات الرياض المتكررة بمراعاة المصالح السعودية. كما يمكن أن يُقرأ غياب الملك عن القمة بوصفه قراراً قصد به إظهار أن الجيل الجديد في القيادة السعودية قادر على إدارة ملفات العلاقات بكفاءة، مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالفعل "غاب عن القمة أربعة زعماء خليجيين من أصل ستة. وإذا كان غياب سلطان عُمان ورئيس دولة الإمارات مفهوماً لأسباب صحية، فإن غياب العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز لا يمكن فهمه خارج سياق الشك والإحباط الخليجيين من إدارة أوباما. وكدليل على التوتر غير المعلن في العلاقات، أعلن البيت الأبيض قبل أسبوع من عقد القمة؛ أي في 8 مايو، أن العاهل السعودي سيشارك في القمة، غير أن الرياض أعلنت بعد يومين من ذلك عن إيفاد كل من ولي العهد الأمير محمد بن نايف، وولي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، لحضور القمة بدلاً من الملك"⁶.

ثانياً: تداعيات القمة الأمريكية - الخليجية على التحالفات الخليجية والقضايا

العربية وأوضاع المنطقة:

رغم التحضيرات الكثيرة لقمة كامب ديفيد، وإحكام الصياغة الدبلوماسية لبيانها الختامي، فإنها قد تكون خرجت بحصيلة متواضعة على الصعيد العملي/التنفيذي، بعد أن حصرت نفسها في التغطية على الخلافات الخليجية - الأمريكية، حتى لا تظهر للعلن أكثر.

⁶ - وحدة تحليل السياسات، "ماذا تحقق في قمة كامب ديفيد الأمريكية - الخليجية؟"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2015/5/24. (زيارة السبت 2015/5/30) على الرابط:

ومما يلفت النظر في البيان الختامي للقمة (14 مايو 2015) استخدام مصطلح "الشراكة الاستراتيجية"، وربما لا مبالغة في القول بأن أهم ما تمخضت عنه هذه القمة هو اتفاق الجانبين على عقد اجتماعهم القادم في عام 2016، بهدف التقدم والبناء على الشراكة الاستراتيجية بين مجلس التعاون والولايات المتحدة الأميركية التي تم الإعلان عنها⁷. وإن كان ذلك لا يعني بالضرورة زيادة مأسسة العلاقات، بقدر ما يعني إبعادها عن الدخول في دائرة الإهمال والتباعد.

ثمة دلالة أخرى يمكن التوصل إليها من تحليل ذلك البيان هو التركيز الأمريكي على دفع دول الخليج نحو مزيد من التقارب والتنسيق مع واشنطن قبل اتخاذ أية خطوات بشأن قضايا المنطقة من اليمن إلى العراق إلى سورية إلى ليبيا إلى فلسطين إلى لبنان، مما يعني أن شن عاصفة الحزم ضد الحوثيين كان عملاً استثنائياً محدوداً، كما يعني أن مصلحة واشنطن للتنسيق مع إيران لمواجهة تنظيمي داعش والقاعدة تهيمن على المنظور الأمريكي لقضايا منطقة الشرق الأوسط في الوقت الراهن.

ومن باب الحرص الأمريكي الشكلي على إرضاء الطرف الخليجي ولو لفظياً؛ فقد أشار بيان قمة كامب ديفيد إلى "ضرورة تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أساس اتفاق سلام عادل وشامل ودائم يؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة وموحدة. كما شددت الولايات المتحدة ودول مجلس التعاون على أهمية مبادرة السلام العربية لعام 2002، مع مواصلة الوفاء بالتعهدات لإعمار غزة كما جاء في مؤتمر

⁷ - راجع: "البيان الختامي الخليجي الأمريكي المشترك لقمة كامب ديفيد"، الشرق الأوسط 2015/5/15. على الرابط:

القاهرة في أكتوبر 2014. كما اتفق الطرفان الأمريكي والخليجي على دعم الحكومة اللبنانية في تصديها لتنظيمي داعش والنصرة اللذين يهددان أمن لبنان واستقراره"⁸.

ويلخص أحد التقارير أهم ما أسفرت عنه هذه القمة في أربع نتائج⁹؛ أولها تقلص الثقة الخليجية في الحليف الأمريكي؛ إذ تشعر دول الخليج بتراجع التأثير الأمريكي في المنطقة مع بروز محاولات إيران ملء الفراغ الناجم عن ذلك في العديد من المناطق، كما في العراق وسورية واليمن. ويعد هذا أحد الأسباب التي دفعت دول الخليج العربية، بقيادة السعودية، إلى أخذ زمام المبادرة في حرب اليمن دون الاعتماد على واشنطن، وإن كان جرى إعلامها بموعدها والاستفادة من الدعم اللوجستي الأمريكي¹⁰.

وثانيها اتضاح التباين في الأولويات بين الطرفين الأمريكي والخليجي. "فالدول الخليجية تسعى للحصول على قائمة من الضمانات الأمنية لمواجهة أي توسع إيراني مباشر أو غير مباشر عبر وكلائها في المنطقة، ولا سيما إذا بدأت إيران في تسليح نفسها بأسلحة أكثر تقدماً. في حين تريد واشنطن من حلفائها الخليجيين أن يكونوا داعمين اتفاق نووي مع إيران مع منحهم ضمانات أمنية وعسكرية محدودة. ولعل ما يقلق الحلفاء الخليجيين هو موقف أوباما ولغته المواربة تجاه إيران، وبخاصة مع رفض إدارته توقيع اتفاقية دفاع مشترك مع مجلس التعاون"¹¹.

أضف إلى ذلك الخلاف الأمريكي - الخليجي حول ملفي سورية واليمن، في ظل تصريح الرئيس أوباما بأن الصراع في سورية ربما لن ينتهي قبل أن يغادر هو نفسه

8 - المصدر نفسه.

9 - وحدة تحليل السياسات، "ماذا تحقق في قمة كامب ديفيد الأمريكية - الخليجية؟"، مصدر سابق.

10 - المصدر نفسه.

11 - المصدر نفسه.

السلطة، مما يعكس إحجام واشنطن عن دعم التوجه الخليجي لإسقاط بشار الأسد. أما في الموضوع اليمني، فإن ثمة تباينا أكثر بين العواصم الخليجية وواشنطن؛ فالولايات المتحدة قبلت على مضض هذا التصرف السعودي- الخليجي بشن عمليات جوية على اليمن، رغم خشية الولايات المتحدة بأن يصب ذلك في النهاية لمصلحة تنظيم القاعدة وقوى المقاومة الشعبية المسلحة في اليمن. ولذا ضغطت واشنطن بعد أقل من ثلاثة أسابيع من بداية حرب اليمن لفرض الهدنة التي أعلنها التحالف العربي لمدة خمسة أيام (12-18 مايو 2015) مع الحوثيين والقوات الموالية للرئيس المخلوع علي عبد الله صالح، وكان واضحا أيضا الرغبة الأمريكية في انتقال السعودية من العمليات العسكرية في اليمن إلى عملية سياسية عبر مؤتمر الرياض للحوار اليمني (17-19 مايو 2015)، خصوصا في ظل تطوير إيران سياستها تجاه الأزمة اليمنية من الارتباك أول الأمر، إلى طرح مبادرة دبلوماسية لحل الأزمة، ثم تصعيد طهران هجومها الدبلوماسي والإعلامي على السعودية وحكامها، وصولا إلى الإصرار الإيراني على انتهاز تدهور الوضع الإنساني في اليمن والتذرع بإرسال سفينة مساعدات، والإصرار على أن ترسو في ميناء الحديدة دون أن تخضع إلى التفتيش في جيبوتي أولا، وهذا كله قبل أن تقرر واشنطن ضبط هذا الصراع لئلا يفضي إلى مواجهة بحرية مع السفينة الإيرانية في وقت لا تريد فيه واشنطن تعقيد العلاقة مع إيران، التي تحتاج واشنطن إلى دورها المحوري في مواجهة داعش، خصوصا في العراق.

وثالثها أن سياسة إيران الإقليمية وبرنامجه النووي يشكلان جوهر الخلاف الخليجي - الأمريكي، حتى لو تم التوصل إلى اتفاق نووي أمريكي أو غربي معها¹².

12 - المصدر نفسه.

ورابعها أن العلاقات الأمنية بين دول الخليج والولايات المتحدة ستبقى دون طموح هذه الدول التي كانت تريد الحصول على علاقات دفاعية أوثق تصل إلى حد إبرام شراكة أمنية- دفاعية أو معاهدة للدفاع المشترك، وهو ما أوضح المسؤولون الأمريكيون أن إدارة أوباما غير متحمسة لتقديمه. وعضوا عن ذلك ركزت إدارة أوباما على مصالحها وزيادة مبيعات السلاح لدول الخليج وتدريب الكوادر الخليجية العسكرية والأمنية، وتطوير نظام دفاعي صاروخي باليستي مشترك ومتكامل بين دول مجلس التعاون كلها، كما جاء في ملحق خاص ببيان قمة كامب ديفيد¹³.

ورغم أن الدول الخليجية كانت تتطلع في هذه القمة إلى أن تحظى بوضع حليف للولايات المتحدة الأميركية من خارج الحلف الأطلسي، فإنها لم تحظ بذلك (ما خلا الكويت والبحرين اللتين كانتا تتمتعان بهذه الوضعية قبل القمة). وللمفارقة فإن واشنطن منحت هذه الوضعية لتونس أثناء زيارة رئيسها الباجي قائد السبسي إلى الولايات المتحدة، في تطور اعتبره البعض يمثل تحالفا ذا دلالات ملتبسة؛ إذ أكد أن "تونس انخرطت بالكامل في معركة "الحرب على الإرهاب". وبقدر أهمية هذا التعاون التونسي الأمريكي لمواجهة هذا الخطر الحقيقي على الأمن القومي التونسي، إلا أنه يقتضي الحذر الشديد، لأن تداعياته الميدانية تكون خطيرة، خصوصا إذا ما اتسعت رقعة الحرب الأهلية في ليبيا، إلى جانب احتمال حدوث تطورات جديدة وجذرية في كل من سورية والعراق. فكلما تضخم الدور الأمريكي في بلد ما ترتب عن ذلك مزيد من الاحتقان، وسعي أشد من الجماعات المسلحة الإرهابية لتوجيه ضربات موجعة للأنظمة وللقوى الدولية"¹⁴.

¹³ - المصدر نفسه.

¹⁴ - صلاح الدين الجورشي، "ماذا وراء التحالف التونسي الأمريكي؟"، العربي الجديد 2015/5/26. على الرابط:

خاتمة:

رغم الاهتمام الإعلامي والدبلوماسي الذي سبق انعقاد قمة كامب ديفيد الخليجية - الأمريكية ثم صاحبها، فإنها لم تتمخض عن نتائج إيجابية لدول الخليج والمنطقة العربية، التي عليها - كما كان الحال سابقا - أن تتدبر أمرها للتعامل مع الأخطار المحدقة بالمنطقة بعيدا عن توقع أية مساعدة أمريكية حقيقية.

ورغم ذلك، فإن نخب دول الخليج وأغلب النخب العربية لا تزال أسيرة فكرة التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة ودول الغرب إجمالا.

وليس غريبا في هذا السياق أن تستمر مسيرة الانحدار والتدهور في أحوال المنطقة، لا سيما منذ اندلاع موجة الثورات المضادة منتصف 2013، وتصاعد البعد الطائفي ودوره في تصعيد الصراع الإقليمي، وهذا كله يعني إجمالا مزيدا من الإهمال والتراجع لقضية فلسطين التي لم تحظ سوى بإشارة عابرة إلى المبادرة العربية للسلام في بيان قمة كامب ديفيد الأمريكية- الخليجية، التي تزامنت مع الذكرى السابعة والستين لنكبة فلسطين¹⁵.

<http://www.alaraby.co.uk/opinion/2015/5/25/%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A>

15 - ماجد عبد الهادي، 'كامب ديفيد.. أين فلسطين؟'، العربي الجديد 2015/5/19. على الرابط:

وفي إطار حالة الفوضى والتفكيك التي تضرب المنطقة، فإن ما يبدو واضحا بعد قمة كامب ديفيد الأمريكية- الخليجية، هو أن موقع إيران من النظام الإقليمي الجديد الجاري إعادة تشكيله حاليا، ربما يكون أكثر قضايا النظام الإقليمي الجديد إشكالية وخلافا بين الخليج وأمريكا.

وعلى أي حال، فإن النظرة البراجماتية الأمريكية قد تتغلب في النهاية لمصلحة إعادة صياغة تحالفاتها في منطقة الشرق الأوسط على نحو يؤدي لإعطاء وزن أكبر للتحالف مع إيران وتركيا، والابتعاد نسبيا عن إسرائيل والسعودية.

"ثمة قلق سعودي متصاعد من وجود أصوات أمريكية تنظر للسعودية على أنها من قوى الماضي، وأن التحالف معها هو تحالف مصلحة جمع بين واشنطن والرياض في شركة زواج من دون حب، ورغم أن شكلا ما من التعاون يمكن أن يستمر بينهما، فإن كلا منهما قد تزدهر أكثر بإبعاد نفسها على الأخرى. ومن ثم يقترح أحد الدارسين طريقة لإعادة تصفير السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط المتقلبة، وذلك عبر إعادة بناء شراكات أمريكا الاستراتيجية في المنطقة في ظل حقيقة تراجع المصالح الأمريكية مع حليفيها الإقليميين القديمين أي (الكيان الإسرائيلي والمملكة العربية السعودية)، وقدرة كل من تركيا وإيران على لعب دور حليفيين إقليميين أكثر موثوقية وقدرة على بلوغ الاستقرار في المنطقة بما يتقاطع مع المصالح الأمريكية والإيرانية"¹⁶.

<http://www.alaraby.co.uk/opinion/2015/5/18/%D9%83%D8%A7%D9%85%D8%A8-%D8%AF%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%AF-%D8%A3%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86>

16 - ستيفن كينزر، العودة إلى الصفر: إيران، تركيا ومستقبل أمريكا، ترجمة: أنطوان باسيل، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2012.

وهذا بالطبع مع أهمية أن تراعي واشنطن أن تفعل ذلك بالتدريج؛ إذ "لا يمكن إعادة صياغة العلاقات التي تربط أمريكا بإسرائيل وبالسعودية بجرة قلم. ولا يمكن لمثلث قوة جديد (أي الولايات المتحدة وتركيا وإيران) أن يظهر بين ليلة وضحاها. فعلى إيران أن تتغير جذريا من أجل أن تصبح شريكا أمريكيا ذا ثقة. وعلى تركيا أيضا أن تتغير وإن ليس بالقدر نفسه. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الولايات المتحدة" ¹⁷.

وبعيدا عن هذا الرأي، من الواضح أن موقع إسرائيل في النظام الإقليمي الجديد هو أمر مسكوت عنه، أو أن تقاربا خليجيا - إسرائيليا سينشأ بهدف الالتفاف على التقارب الأمريكي - الإيراني ¹⁸.

والواقع أن عددا من الأدبيات الإسرائيلية المتعلقة بتقييم الثورات العربية وتداعياتها المختلفة تشير إلى "شراكة مصالح الأمر الواقع بين السعودية والكيان الإسرائيلي، والتلاقي المصلحي بين الرياض وتل أبيب في محاربة نفوذ إيران والحركات السياسية الإسلامية في المنطقة العربية"؛ فبعد إزاحة حسني مبارك عن رئاسة مصر، "بقيت السعودية هي الدولة العربية الوحيدة القادرة على لعب دور رئيس في التصدي للنفوذ الإيراني في المنطقة، خصوصا في ظل تراجع مكانة الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا يعني للباحثين الإسرائيليين أن هناك شراكة استراتيجية غير مباشرة بين إسرائيل

17 - المصدر نفسه، ص 25 - 26.

18 - لمزيد من التفاصيل راجع:

-علي الهيل، "كل هدف غاية..الهدف تحويل العالم العربي إلى دول فاشلة..الغاية إبقاء إسرائيل الدولة الأقوى"، رأي اليوم الإلكتروني 2015/5/22. على الرابط:

<http://www.raialyoum.com/?p=261091>

-أشرف الهور، "مستولان سعودي وإسرائيلي يجتمعان علنا في واشنطن وينهيان مرحلة الدبلوماسية السرية لمواجهة خطر النووي الإيراني"، القدس العربي 2015/6/6. على الرابط:

<http://www.alquds.co.uk/?p=352606>

والسعودية في كل ما يتعلق بالتصدي لإيران. إلى جانب أن كلتا الدولتين معنية بالألا تؤدي أحداث الربيع العربي إلى تغيير الواقع الاستراتيجي في المنطقة، بما يضر بمصالحهما" ¹⁹.

وباختصار، فإن التداخيات المباشرة لقمة كامب ديفيد الأمريكية - الخليجية قد تتلخص في عدة أمور؛ أولها عودة دول الخليج للتفاوض مع الحوثيين لأنه لا يوجد إلا حل سياسي لأزمة اليمن (ربما في صيغة مؤتمر جنيف في 2015/6/14، أو غيرها من الصيغ). ثانيها تركيز السعودية على دعم الحكومة اللبنانية في مواجهة حزب الله (زيارة تمام سلام إلى الرياض أوائل يونيو 2015). وثالثها انفتاح خليجي أكبر على العراق وتقديم الدعم لحكومة حيدر العبادي (زيارة وزير خارجية قطر إلى بغداد أوائل يونيو 2015). ورابعها أنه ليس هناك عاصفة حزم مقبلة في سورية، حتى مع احتمال أن يزيد الدعم التركي - الخليجي على صعيد تدريب المعارضة السورية المسلحة.

ولذلك كله قد يتصاعد تأثير البعد الطائفي في السياسات الإقليمية، بسبب أربعة عوامل على الأقل؛ أولها السياسة الإيرانية في المنطقة التي تحرك حلفاءها باقتدار من العراق إلى سورية إلى لبنان إلى اليمن، عبر خطوات تصعيدية تخدم الاستراتيجية الإيرانية سواء في التفاوض حول ملفها النووي، أو المصالح الإيرانية في المنطقة عبر التدخل في أزماتها الملتهبة. وثانيها طبيعة الردود العربية على السياسة الإيرانية؛ إذ تبدو هذه الردود ضعيفة وغير مترابطة ولا حاسمة، رغم كل ما قيل عن عاصفة الحزم وتداخياتها على تقليص النفوذ الإيراني في اليمن. وثالثها تصاعد

¹⁹ - انظر: صالح النعماني، "العقل الاستراتيجي الإسرائيلي: قراءة في الثورات العربية واستشراف لمآلاتها"، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، وبيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، أوراق الجزيرة (30)، 2013، ص 29-30.

تأثير الفاعلين من غير الدول في تأجيج الصراع الطائفي، لا سيما في منطقتي المشرق العربي واليمن (داعش في مواجهة الحشد الشعبي وفيلق القدس الإيراني في العراق، وحزب الله في مواجهة المعارضة السورية المسلحة في القلمون وبالذات جبهة النصرة، وكذلك دور جماعة أنصار الله (الحوثيين) في مواجهة المقاومة الشعبية المتصاعدة في تعز وعدن والضالع). ورابعها عدم قدرة أي طرف إقليمي على التصدي لهذا البعد الطائفي الخطير والمدمر، بما في ذلك محدودية قدرة تركيا نفسها عن تحجيم تأثيرات هذا البعد على الصعيد الإقليمي، وانشغال الدولة المصرية بأزماتها الداخلية.

وهذا ربما يعني إجمالاً أن تبقى المنطقة العربية تراوح أزماتها في المدى القريب، ربما حتى تنشأ موجة أخرى من الثورات العربية تتلافى الأخطاء السابقة. ويبقى القول إن مواجهة الأخطار التي تحق بالمنطقة العربية وجوارها التركي الحضاري تستلزم رؤية استراتيجية جديدة تتضمن إعادة بناء نظام إقليمي جديد (بعد ظهور عجز النظام العربي)، بما ينطوي على مصالحة تاريخية كبرى بين العرب والأتراك، وتتوجه رأساً إلى عزل القوتين الإقليميتين الأخرين الكيان الإسرائيلي وإيران، اللتين تمارسان - على اختلاف دوافعهما وأهدافهما وبيئتهما الداخلية والخارجية - سلوكاً عدوانياً وابتزازياً على الدول والشعوب العربية.

أما الرهان الخليجي والعربي على التحالف مع الخارج الدولي، سواء كان أميركياً أم غربياً أم روسيا أم صينياً، فقد ثبت فشله في تحقيق المصالح العربية. ولذا ينبغي الإسراع في خطوات التقارب الخليجي/العربي مع تركيا، لأنها البديل العقلاني الوحيد إقليمياً إذا أراد العرب أن يكونوا جزءاً من القوى التي تسهم في ترسيخ وجودها في النظام الإقليمي الجديد الجاري تشكيله حالياً، وأن يتجنبوا الموجة القادمة من الفوضى

والتفتيت والتجزئة وإعادة تقسيم المقسم، التي باتت أكثر من ملموسة، ولم تعد بحاجة لمزيد بيان، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

والله تعالى أعلم وأعلم

2015/6/7